سارة ورحاب

د. عبدالرزاق حجاج - مصر

أبدا لم يحدث أن انقطعنا عن الخروج من البيت يومين متتالين ولا حتى يوما واحدا.

أبوهما (فواز) طويل القامة، عريض المنكبين، واضح العضلات... لم يخبئ الساري الهندي شيئا من هذا. عند أعلى قامته الشاهقة كنت أبصر ثلاث مرات في اليوم وجها رقيقا لا تكاد ابتسامة حلوة تبرح ساحته.

لا أحسن الأوردية، ويحسن هو كلمات عربية بل يركب جملا. لعله منذ زمن في هذا البلد العربي الرحب.

أتاه خارجا من بيته الصغير القريب من المسجد، أحييه فيرد بصوت مرتفع ملائم لطول قامته... وعند أسفل ركبتيه صغيرتان... ما إن تصدر عن والدهما كلمات: وعليكم السلام ورحمة الله، حتى يلتفتا إليّ بوجهين قمريين... أبتسم لهما فتنفتق وردتان حمراوان صغيرتان عن بسمتين تحلقان بدءا من فمهما. لكن سرعان ما تملأن وجهيهما.

كانتا تخرجان مع والدهما أوقات العصر والمغرب والعشاء، إحداهما تمسك بكفه اليمنى والأخرى تتعلق بكفه اليسرى. لا أقول كبراهما وصغراهما، فهما تبدوان في عمر واحد، الثالثة أو الرابعة. شعرهما أسود فاحم ناعم منسدل على جبهتيهما البيضاوين بصورة واحدة... تحدثان والدهما بالأوردية بطريقة واحدة وصوت واحد، ويجيبهما.

أما أنا فلا أملك إلا أن أداعبهما بحركات من أصابعي... أقدم لهما يدي أصافحهما. فتتقدم نحوي في لحظة واحدة راحتان صغيرتان... ترتديان الزي الهندي: ساري صغير منفصل تماما على قدهما.. أكمامهما لا تصلان إلى الرسغين فيسمحان بظهور أساورهما الذهبية: أسورتين

رفيقتين في اليد اليمنى لسارة ومثلهما في اليد اليمنى لرحاب...

لم يحدث من قبل أن انقطعنا عن الإمساك بيديه ودخول المسجد معه في أي وقت من الأوقات الثلاثة. كان يحدثني عنهما بنهم وشغف.

قالتا له: إنهما تريدان أن تصليا معه في المسجد صلاة الصبح. لكنهما تكونان في هذا الوقت نائمتين ولا يحب إيقاظهما. صور لي بجسمه على بساط المسجد منظر نومهما العميق فكان كعملاق يحاكي نومة قطتين.

كل يوم وبانتظام في أوقات الصلاة يدخل فواز الردهة الداخلية للمسجد ويتركهما في البهو الخارجي على مقربة من حجرة تحفيظ القرآن... ما إن تقام الصلاة حتى تقفا في أحد أركان البهو، يداهما ترتفعان بالتكبير كهلالين أزهرين على وجه السماء. ثم في ثبات تمضي شفتاهما في تمتمة. أسرع لأدرك الركعة الأولى، لكني توافق لرؤيتهما تصليان... ترى هل تحسنان قراءة الفاتحة باللغة العربية؟... إنهما تتكلمان مع والدهما بالأوردية. واستبد بي هذا السؤال!

في أحد الأيام سألت فواز فأجلسني في البهو ثم أصدر لهما أمرا. فشرعتا معا تقرأن الفاتحة في صوت طفولي وكلمات عربية متقطعة. لساناهما ينطقان، وعيناهما إليّ. كأنهما يسألانني: أترانا نحسن القراءة... فوضعت راحتي على رأسيهما ضاحكا سعيدا بهما. أصدر أبوهما أمرا آخر فراحتا معا تقرأن: «ألم نشرح لك صدرك». وتهلل وجهه وهو يقول: تحفظان عشرين سورة صغيرة... أمهما تقوم بمهمة تحفيظهما في الصباح... وهنا بعد العصر يحفظهما الشيخ عبدالرحمن مع أخريات في المسجد.

لفت نظري ليومين متتاليين أنهما لا تخرجان مع والدهما إلى المسجد ولا إلى محل (التموينات) المجاور.

في اليوم الثالث وقبيل صلاة العصر جاءت مني التفاتة إلى مدخل بيت فواز. رأيتهما معا. وجههما لشيء ما وظهرهما لي... منكبتان تماما على هذا الشيء، لم أتبين حقيقته فسألت والدهما: لا أرى هذه الأيام سارة ورحاب؟

أجابني باسما منتشيا: لقد رزقنا منذ شهور برحمة. وهما تداعبانها طول الوقت. تتفننان في ملاطفتها وملاعبتها... وأمهما منذ يومين متعبة فراحت تضع رحمة على وسادة بجوار الباب، وهما تثرثران معها.

نظرت إلى وجهه مباشرة، متمليا في رحابة ابتسامته وهو يتحدث عن المولودة الجديدة.

قلت له: لعل رحمة تشبه أختيها.

ارتفع صوته ضاحكا وهو يقول: أحلى... أجمل... انتظر سأريك إياها! ثم اتجه إلى باب البيت في خطوات أسدية. وما هي إلا لحظات حتى كانت بين ذراعيه. ورأيته يخفض وجهه الضخم نحوها ويقبلها هاتفا في عربية عذبة المطالع: انظر.. انظر يا أخي.. سبحان الخلاق.

قلت: سبحان الله! ومددت يدي لآخذها منه.

لكن، كانت الصغيرتان قد وصلتا. ضاحكتين، مدتا معا يديهما نحوها■

الحنان

يس عبدالوهاب - مصر

الحنان هو الدفء المخبوء في النفس الإنسانية، لا يشعر به إلا من ذاقه، ويبحث عنه من حُرمه. نجده في اشتراق المحبين، ودموع المودعين، وفي المودة بين الزوجين، وبين الأبناء والوالدين، يحيط بقلوب العارفين، ويهدئ روع الخائفين، ويملأ قلوب المساكين، ويدفع إلى التراحم والتواد بين المؤمنين.